

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦) إِنَّ  
هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ [ص: 86 - 88]

### ❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد التحذير من  
اتِّباع إبليس؛  
أمر الله رسوله  
بالبراءة من  
طريقه

لَمَّا تَمَّ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُشْرِكِينَ  
نَبَأًا عَظِيمًا هُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ - بِمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْغَيْبِ مَعَ مَا لَهُ مِنَ  
الْإِعْجَازِ - فَتَبَّتْ بِذَلِكَ مَا اقْتَضَى أَنَّهُ صَادِقٌ فِي نِسْبَتِهِ إِلَى اللَّهِ  
تَعَالَى، وَخَتَمَ بِالتَّحْذِيرِ مِنْ اتِّبَاعِ إِبْلِيسَ؛ أَمَرَ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ  
طَرِيقِ إِبْلِيسَ، وَأَنْ يَنْفِي عَنْ نَفْسِهِ مَا قَدْ يُحْمَلُ عَلَى التَّقْوَلِ بِقَوْلِهِ:  
﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ (1).

بعد تبليغ  
المشركين، قرع  
أسماعهم  
بالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ

وَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِإِبْلَاجِ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا هَذِهِ  
السُّورَةُ؛ أَمَرَهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا أَنْ يَقْرَعَ أَسْمَاعَهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ  
كَالْفَذْلِكَةِ لِلْسُّورَةِ تَنْهِيَةً لَهَا؛ تَسْجِيلًا عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مَا جَاءَهُمْ إِلَّا بِمَا  
يَنْفَعُهُمْ، وَلَيْسَ طَالِبًا مِنْ ذَلِكَ جَزَاءً، أَيْ: لَوْ سَأَلَهُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا؛ لَرَأَجَ  
اِتِّهَامُهُمْ إِيَّاهُ بِالْكَذِبِ لِنَفْعِ نَفْسِهِ، فَلَمَّا انْتَفَى ذَلِكَ؛ وَجَبَ أَنْ يَنْتَفِيَ  
تَوْهُمُ اتِّهَامِهِ بِالْكَذِبِ؛ لِأَنَّ وَازِعَ الْعَقْلِ يَصْرِفُ صَاحِبَهُ عَنْ أَنْ يَكْذِبَ  
لِغَيْرِ نَفْعٍ يَرْجُوهُ لِنَفْسِهِ (2).

بعد طلب  
وجوب الاحتياط  
في طلب الدين  
جاء الأمر بالنظر  
في حال الداعي

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ طُرُقًا كَثِيرَةً دَالَّةً عَلَى وَجُوبِ الْإِحْتِيَاظِ فِي  
طَلَبِ الدِّينِ، خَتَمَ بِأَنْ يُنْتَظَرَ فِي حَالِ الدَّاعِي، وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ، وَفِي  
حَالِ الدَّعْوَةِ، لِيُظْهَرَ أَنَّهُ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ، لِيُقِيمَ الْحُجَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ،  
فَقَالَ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (3).

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 432.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 308.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16 / 416.

## ❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: أَصْلُ (سَأَلَ) الِاسْتِدْعَاءُ وَالطَّلَبُ، سَأَلَهُ الشَّيْءُ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهُ، وَمِنْ مَعَانِيهِ أَيْضًا: الِاسْتِفْهَامُ، وَالِاسْتِخْبَارُ، وَالِاسْتِعْلَامُ، وَالِاسْتِفْسَارُ<sup>(1)</sup>، وَالسُّؤَالُ: اسْتِدْعَاءُ مَعْرِفَةٍ، أَوْ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْمَعْرِفَةِ، وَاسْتِدْعَاءُ مَالٍ، أَوْ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْمَالِ، وَالسُّؤَالُ لِلْمَعْرِفَةِ قَدْ يَكُونُ لِلِاسْتِعْلَامِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلتَّبَكُّيْتِ، وَاسْتِدْعَاءُ الْمَعْرِفَةِ جَوَابُهُ بِاللِّسَانِ، وَتَنَوُّبُ عَنْهُ الْيَدُ، أَيْ: بِالْكِتَابَةِ وَالْإِشَارَةِ<sup>(2)</sup>، وَإِذَا كَانَ السُّؤَالُ طَلَبَ بَدَلٍ، عُدِّيَ فِعْلُ السُّؤَالِ بِنَفْسِهِ، وَإِذَا كَانَ طَلَبُ إِخْبَارٍ: عُدِّيَ الْفِعْلُ بِحَرْفِ (عَنْ) أَوْ مَا يَنْوُبُ مَنَابَهُ<sup>(3)</sup>، وَمَعْنَى ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ﴾ فِي الْآيَةِ: مَا أَطْلَبُ مِنْكُمْ<sup>(4)</sup>.

(2) ﴿أَجْرٍ﴾: أَصْلُ (أَجَرَ) الْكَرَاءُ عَلَى الْعَمَلِ<sup>(5)</sup>، وَمِنْهُ سُمِّيَ الثَّوَابُ أَجْرًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْعَبْدَ عَلَيْهِ، وَالْأَجْرُ: الْعَوْضُ، وَالْأَجِيرُ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ أَوْ مَفَاعِلٍ، وَالِاسْتِجَارُ: طَلَبُ الشَّيْءِ بِالْأَجْرَةِ<sup>(6)</sup>، وَالْمَقْصُودُ بِالْأَجْرِ فِي الْآيَةِ: الْعَوْضُ وَالْجَزَاءُ عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَعْنَى: لَا أَطْلَبُ مِنْكُمْ مِنْ أَجْرِ تَعَطُّونِيهِ عَلَيْهِ، أَوْ جَعَلٍ تَجْعَلُونَهُ لِي مِنْ مَالٍ دُنْيَوِيٍّ<sup>(7)</sup>.

(3) ﴿الْمُتَكَلِّفِينَ﴾: مِنَ التَّكْلُفِ، وَتَكْلُفُ الشَّيْءِ هُوَ مَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ بِإِظْهَارِ كَلْفٍ مَعَ مَشَقَّةٍ تَنَالُهُ فِي تَعَاطِيهِ، وَالتَّكْلُفُ: اسْمٌ لِمَا يَفْعَلُ بِمَشَقَّةٍ أَوْ تَصْنَعُ أَوْ تَشْبُعُ، فَصَارَتِ الْكُلْفَةُ فِي التَّعَارُفِ اسْمًا لِلْمَشَقَّةِ<sup>(8)</sup>، وَتَكْلَفَ الْأَمْرَ: اجْتَهِدَ يُبَيِّنُ فِيهِ أَثْرَهُ، وَكَلَفَهُ: الزَّمَهُ مَا يَظْهَرُ فِيهِ أَثْرُهُ، وَالتَّكْلِيفُ: الْإِلْزَامُ<sup>(9)</sup>، وَمَعْنَى ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾، أَيْ: لَا أَتَكْلَفُ، وَلَا أَتَخَرَّصُ مَا لَمْ أَوْمَرْ بِهِ<sup>(10)</sup>، فَمَا أَنَا بِمَدَّعِ النَّبُوَّةِ بَاطِلًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُوحَى إِلَيَّ<sup>(11)</sup>.

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، للحكم، وابن منظور، لسان العرب، وعمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (سأل).

(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (سأل).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 194 / 2.

(4) الهري، حقائق الروح والريحان: 453 / 24.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).

(6) الراغب، المفردات: (أجر).

(7) الهري، حقائق الروح والريحان: 454 / 24.

(8) الرَّاغِب، المفردات: (كلف).

(9) الأزهري، تهذيب اللغة، والرَّاغِب، للمفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كلف).

(10) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 230 / 15.

(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 308 - 309.

(4) ﴿ذِكْرٌ﴾: أصل (ذكر) قوَّة الشيء وصلابة مادَّتِه، ومنه الذِّكْرُ: جَرِيُّ الشيء على لسانك؛ إذ به يقوى وجوده في الأسماع والقلوب، وهو أيضاً: الحِفْظُ للشيء، والعلاءُ والشرفُ<sup>(1)</sup>، والذِّكْرُ: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، وكلُّ كتابٍ من كُتُبِ الأنبياء ﷺ هو ذِكْرٌ<sup>(2)</sup>، فالذِّكْرُ الكلامُ الموحى به؛ لِيُتْلَى، ويُكْرَرَ، فهو للتلاوة؛ لأنَّه يذَّكَّرُ، ويُعادُ، ولأنَّ فيه تذكيراً بالله واليوم الآخر، أو لأنَّه بمعنى أنَّ به ذِكرَهُم في الآخرين<sup>(3)</sup>، والمقصودُ بالذكر في الآية: الكلامُ الموحى به، أي: القرآن<sup>(4)</sup>.

(5) ﴿نَبَأٌ﴾: أصل (نبأ) الإتيانُ من مكانٍ إلى مكانٍ، يُقالُ للذي يَنْبَأُ من أرضٍ إلى أرضٍ: نَابِئٌ، ومنه النُّبَأُ: الخبرُ؛ لأنَّه يأتي من مكانٍ إلى مكانٍ، والمنبئُ: المُخْبِرُ، وهو ظهورٌ مسبقٌ بخفاءٍ<sup>(5)</sup>، والنُّبَأُ: خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يحصلُ به علمٌ أو غلبةٌ ظنٍّ، ولا يُقالُ للخبر نبأً حتَّى يتضمَّنَ هذه الأشياءَ الثلاثة، ويكون صادقاً<sup>(6)</sup>، ومعنى: ﴿نَبَأٌ﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللُّغويِّ، أي: ستعلمون خبرَ هذا القرآن بعد زمانٍ علماً جازماً، فيزولُ شكُّكم فيه<sup>(7)</sup>.

### ❁ المعنى الإجمالي:

أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقول لمُشركي قومه: لا أسألكم على هذا الذِّكرِ، وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله، أو على تبليغي إياكم رسالة ربي أجراً دنيوياً، وما أنا من الذين يتصنعون، ويتحللون بما ليسوا من أهله حتَّى أنتحل النبوة، وأتقول القرآن،

دعوة تقريعية  
للمشركين  
لإعراضهم عن  
صاديق لا يطلب  
إلا نفعهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ذكر).

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (ذكر).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/14.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 83/7، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 309/23.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (نبأ).

(6) الراغب، المفردات: (نبأ).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 310/23.

وَمِنْ تَمَّ مَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا تَذَكِيرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَالَمِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَشَرَفٌ عَظِيمٌ لهما فِي اتِّبَاعِ أَوْامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ مِنْ قَرِيشٍ صِدْقَ أَخْبَارِ الْقُرْآنِ، وَتَحَقُّقَ مَا فِيهِ، وَحَقِيقَةَ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، بَعْدَ وَقْتٍ مِنَ الزَّمَانِ، مُحَدَّدٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(1)</sup>.

### ❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

#### علة فصل الآية عما قبلها:

فَصَلَ النَّظْمُ الْحَكِيمُ جُمْلَةً: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ﴾ عما قبلها: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ولم يربط بينهما؛ لما بين الجملتين من كمال الانقطاع، لاختلافهما خبراً وإنشاءً، فالجملة الأولى خبرية، والثانية: إنشائية؛ ولهذا تعيّن الفصل بينهما، وقد جاءت جملة: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ﴾ استئناف خطاب للنبي ﷺ؛ ليُلْقِيَ على المشركين القول الأخير، وهو الدَّعْوَةُ الْخَالِصَةُ لِلنَّجَاةِ، الَّتِي لَا يَطْلُبُ صَاحِبُهَا أَجْراً دُنْيَوِيًّا، وَلَا يَتَكَلَّفُ، وَلَا يَتَصَنَّعُ، وَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا يُوَحِّيه مَنْطِقُ الْفِطْرَةِ الْقَرِيبِ، بِمَا يَقِيَمُ بِهِ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ.

#### سرُّ التعبير بالأمر ﴿قُلْ﴾:

خَاطَبَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ﴾ بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾، ولم يخاطبِ الْمُشْرِكِينَ بِشَكْلِ مُبَاشَرٍ؛ لِتَوْجِيهِ الْأَسْمَاعِ إِلَى مَضْمُونِ مَا سَيُلْقَى عَلَيْهِمْ، أَي: لِبَيَانِ أَهْمِيَّةِ الْقَوْلِ، فَإِنَّ أَصْلَ الْأَمْرِ بِالْقَوْلِ فِي مَقَامِ التَّصَدِّيِّ لِلتَّبْلِيغِ دَالٌّ عَلَى الْاهْتِمَامِ، وَلِتَوْكِيدِ صِدْقِ الرِّسَالَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَأَنَّ مَضْمُونَ الْقَوْلِ هُوَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَالْإِيْذَانِ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا هُوَ مُنْتَدِبٌ لِأَدَاءِ هَذِهِ الْمَهْمَةِ، وَلَيْسَ مُنْدَفِعًا فِيهَا بِالْفُضُولِ وَلَا مُتَصَنِّعًا وَلَا زَائِدًا وَلَا مُنْقَصًا،

خطاب  
للمشركين  
بالدعوة  
الخالصة للنجاة

خطاب يُظهر  
أهمية القول  
وصدق النبي  
الرسول

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 243، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 239.

وليس متوخيًّا منها أجرًا ولا منفعةً، وإنَّ هذا الذي يبلغه عن الله هو ذكرٌ للعالمين أجمع، ولسوف يتحقّقون مصداقه ومداه، والمتبادر أنَّ الآيات قد استهدفت فيما استهدفتُه تسليّة النبي ﷺ وتشبيته في الوقت نفسه<sup>(1)</sup>.

ويمكن أن يكون ضميرُ المخاطبِ بالأمر ﴿قُلْ﴾ كلٌّ واحدٍ من المسلمين المكلفين، فهو مأمورٌ بأن يقول ذلك، بما يحملهم مسؤوليّة التبليغ، ويدلُّ على أسلوبٍ حواريّ استدلاليٍّ في إقامة الحجّة.

### غرض الأمر في الفعل ﴿قُلْ﴾:

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أمرٌ حقيقيٌّ، طَلِبَ فيه الفعلُ من رسولِ الله ﷺ على وجه الاستعلاء، أن يقولَ لهم عن نفسه هذه المقالة، بغرضِ المدح والإكرام للنبي ﷺ بكونه المكلف بالتبليغ عن الله، وبالتّهديد والوعيد للمشرّكين، وبغرضِ التذكير للمشرّكين بما علموه من حالِ النبي ﷺ، والاستشهادِ عليهم بذلك من أنّه لا يطلبُ أجرًا منهم، ولا يتكلّف حليّةً ليست له، وليس غرضه إعلامهم بالمضمون<sup>(2)</sup>.

### مفهومُ النَّفْيِ بـ ﴿مَا﴾ في الآية:

آثر البيانُ القرآنيُّ النَّفْيَ بـ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ﴾ دون غيرها من أدواتِ النَّفْيِ؛ لقوّة النَّفْيِ بها؛ إذ إنّها آكدُ من (ليس) و(لم) و(لا)، وهي لمطلقِ النَّفْيِ في الماضي والحاضر والمستقبل، وإنَّ كان الأصلُ فيها لنفيِ الحال<sup>(3)</sup>، والمعنى عُمومُ نفيِ سُؤالِهِ ﷺ الأجرَ منهم في أيِّ زمانٍ أو مكانٍ من يوم بُعثَ إلى وقتِ نزولِ هذه الآية، بما يدلُّ على مبالغةِ النَّفْيِ ﷺ في نفيِ أيِّ نفعٍ

مدح وتكريم  
لرسول  
الله وتذكير  
للمشرّكين من  
حاله بما يقيم  
الحجّة عليهم

في عموم نفي  
سؤال النبي  
الأجر دعوة  
للمشرّكين  
بالتفكير بشأنه  
وبصدق دعوته

(1) دروزة، التفسير الحديث: 359 / 2.

(2) الألوسي، روح اللعاني: 220 / 12.

(3) القنوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 276 / 14.

دنيويٍّ، أو عرضٍ مادِّي يناله لقاءُ دعوته، وعلى دعوتِهِ للكافرين إلى أَنْ يتفكَّروا بشأنه وبصدقِ دعوته، فعملُهُ لمحضِ رضوانِ الله تعالى. وهذا العموم قياسُ استقراءٍ؛ لأنَّهم إذا استقَّروا أحوالَ الرِّسولِ ﷺ فيما مضى؛ وجدوا انتفاءَ سُؤالِهِ أَجْرًا أَمْرًا عامًّا بالاستقراءِ التَّامِّ الحاصِلِ مِنْ جميعِ أَفرادِ المُشركينَ في جميعِ مُخالطاتِهِم إِيَّاه، فهو أَمْرٌ مُتواترٌ بينهم<sup>(1)</sup>.

### علةُ التَّعبيرِ بالسُّؤالِ في الفعلِ ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾:

التَّعبيرُ بالسُّؤالِ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ دونِ (الطَّلَبِ)؛ للإشارةِ إلى مبالغةِ النَّبيِّ ﷺ في نفيِ حرصِهِ على طلبِ الأجرِ على دعوته سواءً من مالٍ أو غيره، بما يكونُ أدعى لإيمانهم، وإقامةِ الحُجَّةِ عليهم؛ لأنَّ السُّؤالَ في اللُّغة: اسْتِدْعَاءُ معرفةٍ، أو ما يُؤدِّي إلى المعرفة، واستدعاءُ مالٍ، أو ما يُؤدِّي إلى المال<sup>(2)</sup>، والسُّؤالُ: طَلَبٌ أَحَدٍ مِنْ آخَرٍ بَذَلِ شَيْءٍ، أو إِخْبَارًا بِخَبَرٍ<sup>(3)</sup>، بينما الطَّلَبُ هو الفحصُ عن وجودِ الشَّيءِ<sup>(4)</sup>.

### دلالةُ المضارعةِ في الفعلِ ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ عن السُّؤالِ بصيغةِ المضارعِ ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على تجددِ مقولةِ النَّبيِّ ﷺ لهم المتضمنةِ انتفاءَ سؤالِهِ أَجْرًا ومنفعةً لنفسِهِ على دعوته، وتكرُّرها، لإشعارهم بعدمِ طمَعِهِ في مالهم، دفعًا لهم للنظرِ في نزاهةِ ما جاءهم به؛ طمعًا في إيمانهم، وهذا الاستمرارُ والتَّجدُّدُ في انتفاءِ سؤالِ نوحٍ أَجْرًا ومنفعةً لنفسِهِ في أيِّ وقتٍ من الأوقاتِ يدلُّ على عظيمِ عَفَّتِهِ صلواتِ رَبِّي وسلامه عليه.

مبالغةُ النَّبيِّ  
ﷺ في نفيِ  
حرصِهِ على  
طلبِ الأجرِ على  
دعوته

حرصُ النَّبيِّ  
ﷺ على نفيِ طلبِهِ  
لِلنَّفْعِ الدُّنيويِّ  
في أيِّ وقتٍ من  
الأوقاتِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 308 / 23.

(2) الراغب، للفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (سأل).

(3) ابن عاشور، التَّحْريْرُ والتَّنْويْرُ: 194 / 2.

(4) الراغب، للفردات: (طلب).

## معنى (على) في ﴿عَلَيْهِ﴾ ودلالته:

علوُّ قَدْرِ القرآنِ  
الكريمِ أو ما  
يبلِّغهم إِيَّاهُ من  
الوحي

يفيدُ حرفُ الجرِّ (على) في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ معنى الاستعلاء، بما يشيرُ إلى علوِّ قَدْرِ القرآنِ الكريمِ، أو ما يبلِّغهم إِيَّاهُ من الوحي، أو ما يدعوهم إليه، وعلى أنَّ إخلاصَه في ذلك، وتعفُّفه عن أخذِ أيِّ أجرٍ منهم جُلٌّ أو قَلٌّ من أعلى ما يُلْتَفَتُ إليه.

## مرجعُ ضميرِ الغائبِ في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾:

دلالةُ مرجعِ  
الضميرِ على  
معانٍ متقاربةٍ  
متعانقةٍ من  
إيجازِ القرآنِ  
البليغِ

ضميرُ ﴿عَلَيْهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ عائدٌ إلى القرآنِ المعلومِ مِنَ المَقَامِ، فَإِنَّ مَبْدَأَ السَّورَةِ قَوْلُهُ: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 1]، فهذا مِنْ رَدِّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ<sup>(1)</sup>، وهو مِنْ جِهَاتِ الْحُسْنِ فِي الْكَلَامِ، وهو وإنْ لم يَتَقَدَّمْ لَهُ ذِكْرٌ، إلا أَنَّهُ مَفْهُومٌ مِنَ السِّيَاقِ<sup>(2)</sup>، والمعنى: "ما أسألكم على ما جئكم به مِنَ القرآنِ أَجْرًا"<sup>(3)</sup>، أو عائدٌ إلى تبليغِ الوحي<sup>(4)</sup>، والقرآنُ مذكورٌ فِيهِ حُكْمًا؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ جُمْلَةِ الْوَحْيِ<sup>(5)</sup>، أو عائدٌ إلى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى<sup>(6)</sup>، أي: "ما أسألكم على ما أدعوكم إليه مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ أَجْرًا"<sup>(7)</sup>، وكلُّها معانٍ متقاربةٌ متعانقةٌ تدلُّ على إيجازِ القرآنِ البليغِ.

## نكتةُ تقديمِ ﴿عَلَيْهِ﴾ على: ﴿مِنْ أَجْرِ﴾:

اهتمامٌ بالقرآنِ  
الكريمِ وإهمالٌ  
للأجرِ

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ الجارَّ والمجرورِ ﴿عَلَيْهِ﴾ على ما هو في محلِّ المفعول بهِ ﴿مِنْ أَجْرِ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ﴾ اهتمامًا بالمُقَدَّمِ، وهو القرآنُ الكريمُ العاليُ القَدْرَ العظيمُ الجاهُ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 308 / 23.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 512 / 4.

(3) اللاوردي، النكت والعيون: 112 / 5.

(4) الزمخشري، الكشاف: 109 / 4، وأنوار التنزيل: 35 / 5.

(5) القنوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 460 / 16.

(6) الألوسي، روح المعاني: 220 / 12.

(7) اللاوردي، النكت والعيون: 112 / 5.

وتشريفًا لها؛ إذ الضميرُ في الجارِّ والمجرور يعودُ عليه، وفي تأخيرِ ﴿مِنْ أَجْرِ﴾ بيانٌ لإهماله الأجرَ وعدمِ الاهتمام به.

**معنى ﴿مِنْ﴾ في القيد ﴿مِنْ أَجْرِ﴾:**

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْرِ﴾ صلة<sup>(1)</sup>، لإفادة تأكيدِ نفي الأجرِ وعمومه<sup>(2)</sup>، أي: أغرقَ في النَّفْيِ<sup>(3)</sup>؛ لَأَنَّهَا لَوْ حُذِفَتْ؛ لَمَا اخْتَلَّ نظمُ الكلام، والتقدير: (ما أسألكم أجرًا)، إلاَّ أَنَّهُ أَتَى بِهَا لِتَأْكِيدِ نفي النَّبِيِّ ﷺ سؤَالَهُ لِأَيِّ أَجْرٍ لِقَاءَ دَعْوَتِهِ، والمعنى: ما أسألكم أَيِّ أَجْرٍ جَلَّ أَوْ قَلَّ، وفي هذا قَطْعٌ لأسبابِ الاتِّهامِ والنُّفُورِ عن الدَّعوة، وتأكيدٌ لتزكيةِ دعوةِ النَّبِيِّ ﷺ عن المنافعِ الرَّائِلةِ الَّتِي يبتغيها أهلُ الدُّنيا.

**دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿أَجْرٍ﴾:**

التَّعبيرُ بِالْأَجْرِ في قوله تعالى: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ دون غيره من الألفاظ، كالمال والمنفعة والجزاء وغير ذلك؛ لكونِ الأجرِ أَوْسَعَ دلالةً، فالأجرُ هو العَوْضُ على عملٍ، سواءً كان مَالًا أَوْ أَيِّ منفعةٍ، من قُوَّةٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ ثَنَاءٍ، أي: نفى رسولُ الله ﷺ أَنْ يَسْأَلَ قَوْمَهُ مقابلَ تبليغِ القرآنِ والوحيِ أَيِّ مالٍ أَوْ ثَوَابٍ أَوْ جَزَاءٍ أَوْ منفعةٍ بجميعِ أشكالِها، وفي هذا دلالةٌ على كمالِ تَعَفُّفِهِ، بما يكونُ ادَّعَى لِلتَّفَكُّرِ بشأنِهِ وبصدقِ دعوته، ولكونِ لفظِ الأجرِ أَنَسَبَ مع حالِ النَّبِيِّ ﷺ الذي ما دعاهم إِلَّا إلى ما فِيهِ نَفْعُهُمْ وفلاحهم في الدُّنيا والآخرة، وبذلكَ كُلِّ ما يَسْتَطِيعُ في سبيلِ ذلك؛ لَأَنَّ الأجرَ لَا يُقَالُ إِلَّا في النَّفْعِ دونِ الضَّرَرِ<sup>(4)</sup>، بخلافِ الجزاءِ فَإِنَّهُ يُقَالُ في النَّافِعِ والضَّارِّ<sup>(5)</sup>، ولأنَّ

مبالغةُ النَّبِيِّ  
في نفيِ أَيِّ  
نفعٍ دنيويٍّ يناله  
لقاءَ دعوته

مبالغةُ في بيانِ  
كمالِ تَعَفُّفِهِ  
عن أَيِّ  
عَوْضٍ

(1) اليماني، البستان: 2/ 337.

(2) ابن عثيمين، تفسير سورة ص: 253.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 432.

(4) الراغب، المفردات: (أجر).

(5) الراغب، المفردات: (أجر).

الأجر لا يكون إلا مقابل عمل<sup>(1)</sup>، والمال يكون مقابل عمل، ويكون بغير عمل، كأن يأتي من إرث أو هبة.

### لطيفة تنكير «أجر»:

«أجر» في قوله تعالى: «مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ» نكرة في سياق النفي، ولذا أفادت استغراق النفي لكل ما يطلق عليه أجر دنيوي، من مال أو منفعة أو غير ذلك، وفيها معنى التقليل والتهوين والتحقير من قيمة هذا المطلوب - وهو الأجر - عند النبي ﷺ، أي: (ما أسألكم أي أجر دنيوي جل أو قل)<sup>(2)</sup>، وفي مبالغته في نفي عدم أخذه لأي أجر مهما كان تأكيداً على كمال إخلاصه لله في دعوته، وترفعاً لشأنه، وهذه سنة لازمة للرسل ﷺ، فالرسل ما بُعثوا أجراً لأحد، وليس منهم أي التفات إلى تقاضات الدنيا، ولأنه أراد الأجر الأعلى الباقي ممن له قدرة عطاء لا نهاية لها، كما قال تعالى: «فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ» [يونس: 72].

### موقع جملة: «مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ»:

جملة: «مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ» في محل نصب مقول القول: «قُلْ»<sup>(3)</sup>، فهو أمر وتلقين من الله بأن يقول لهم ذلك، وهذا يدل على أنه ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فيتضمن تبليغ النبي ﷺ قومه - بنفي سؤاله إياهم الأجر بأمر من الله - الاستدلال على صدق دعوته وعلى نبوته.

### معنى (الواو) في: «وَمَا أَنَا»:

الواو في قوله تعالى: «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» عاطفة، والجملة في محل نصب، معطوفة على جملة مقول القول «مَا أَسْأَلُكُمْ»<sup>(4)</sup>،

(1) ابن منظور، لسان العرب: (أجر).

(2) الألويسي، روح المعاني: 220 / 12.

(3) صافي، الجدول: 147 / 12.

(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم: 193 / 8.

من تعلقت  
همته بالأجر  
العظيم الباقي؛  
زهّد بالأجر  
الدنيوي الفاني

تبليغ النبي  
قومه انتفاء  
طلبه للأجر بأمر  
من الله دليل  
على صدق نبوته

في العطف  
والحالية بيان  
لحال النبي ﷺ  
في دعوته

بجامعٍ أَنَّ كليهما نفْيٌ يتعلَّقُ بحالِ الدَّاعي، وهو النَّبِيُّ صلى الله وسلم، مِنْ أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ أَجْرًا دُنْيَوِيًّا عَلَى الْقُرْآنِ أَوْ تَبْلِيغِ مَا يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُتَصَنِّعِينَ مِمَّا لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهِ، فَهُوَ غَيْرُ مُنْتَحِلٍ لِلنُّبُوَّةِ، وَغَيْرُ مُتَقَوِّلٍ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّفَ شَيْئًا إِنَّمَا يَطْلُبُ مِنْ تَكْلُفِهِ نَفْعًا، فَالْمَعْنَى: (وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدَّعُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ)<sup>(1)</sup>، أَوْ أَنَّ الْجُمْلَةَ الْأُولَى تَتَحَدَّثُ عَنْ حَالِ الدَّاعِي، وَالثَّانِيَّةُ عَنْ كَيْفِيَّةِ الدَّعْوَةِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّا يَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَةِ صَحَّتِهِ إِلَى التَّكَلُّفَاتِ الْكَثِيرَةِ، بَلْ هِيَ دِينٌ يَشْهَدُ صَرِيحُ الْعَقْلِ بِصَحَّتِهِ<sup>(2)</sup>.

أَوْ أَنَّ تَكُونَ الْوَاوِ حَالِيَّةً<sup>(3)</sup>، وَالْجُمْلَةُ حَالًا مِنْ الْفَاعِلِ الْمُسْتَرِّ لِلْفِعْلِ ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾<sup>(4)</sup>، وَالْمَعْنَى: (مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى تَبْلِيغِ الْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ أَجْرًا دُنْيَوِيًّا، وَالْحَالُ أَنِّي لَسْتُ مِنْ الْمُنْتَحِلِينَ لِلنُّبُوَّةِ وَالْمُتَقَوِّلِينَ لِلْقُرْآنِ).

**معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾:**

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ حرفُ جَرٍّ، وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ خَبَرِ (مَا) الْحَاجَازِيَّةِ، أَوْ بِمَحذُوفٍ خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ ﴿أَنَا﴾<sup>(5)</sup>، وَ﴿مِنْ﴾ هُنَا تَبْعِيضِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: وَمَا أَنَا مِنْ زَمَرَةِ الْمُتَكَلِّفِينَ.

**معنى (ال) في ﴿الْمُتَكَلِّفِينَ﴾:**

لَا مُّ التَّعْرِيفُ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ جَنَسِيَّةٌ اسْتَغْرَاقِيَّةٌ تَفِيدُ الْعُمُومَ، لِتَشْمَلَ كُلَّ مَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمُتَكَلِّفِ، أَي: كُلِّ أَفْرَادِ هَذِهِ الْفَتَةِ الَّتِي تُعْرَفُ عِنْدَ النَّاسِ بِفِتَةِ الْمُتَكَلِّفِينَ، وَمِنْ ثَمَّ أَفَادَتِ الْآيَةَ انْتِفَاءً جَمِيعِ التَّكَلُّفِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَعْنَى: (وَمَا أَنَا مِنَ الَّذِينَ

نفْيُ النَّبِيِّ ﷺ  
أَنْ يَكُونَ مِنْ  
زَمَرَةِ الْمُتَكَلِّفِينَ

فِي الْجَنَسِيَّةِ  
مِبَالِغَةً فِي نَفْيِ  
كُلِّ تَكَلُّفٍ عَنِ  
النَّبِيِّ ﷺ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 308 / 23 - 309.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 416 / 16.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 386 / 8.

(4) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه وبيانه: 193 / 8، والهرري، حقائق الروح والريحان: 463 / 24.

(5) صافي، الجدول: 147 / 12.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 308 / 23.

يَتَصَنَّعُونَ، وَيَتَحَلَّوْنَ بِمَا لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهِ مِنْ قَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، الَّذِينَ يَكْلِفُونَ أَنْفُسَهُمْ تَزْوِيرَ الْكَلَامِ وَالتَّصْنُعَ فِيهِ، وَتَرْتِيبَهُ عَلَى طَرِيقٍ مِنَ الطَّرِيقِ بِنِظْمٍ أَوْ نَثْرٍ سَجَعٍ أَوْ خُطْبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ وَضَعَ أَنْفُسَهُمْ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا<sup>(1)</sup>، حَتَّى أَتَجَلَ النَّبُوءَةُ، وَاتَّقَوْلَ الْقُرْآنَ<sup>(2)</sup>، وَلِعُمُومِ اللَّفْظِ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَاهُ عَلَى أَقْوَالٍ، وَكُلُّهَا صَحِيحَةٌ، وَهِيَ: وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ لِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي، أَوْ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ لِأَنْ أَمْرَكَ بِمَا لَمْ أَوْمَرْ بِهِ، أَوْ بِالَّذِي أَكَلَّفَكُمْ الْأَجْرَ<sup>(3)</sup>، أَوْ لَسْتُ مِمَّنْ يَتَعَسَّفُ فِي طَلَبِ الْأَمْرِ الَّذِي لَا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ، أَوْ لَسْتُ مِمَّنْ يَتَكَلَّفُ لِدَعْوَتِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْ حُدُودِ التَّبْلِيغِ، فَلَا أَقْهَرُ أَحَدًا، أَوْ أَخْدَعَهُ<sup>(4)</sup>، أَوْ لَسْتُ مِمَّنْ يَتَكَلَّفُ إِظْهَارَ خِلَافِ الْإِضْمَارِ، بَلْ أَنَا عَلَى مَا عَرَفْتُمُونِي بِهِ مِنَ الصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَلَوْ كَانَ تَكَلُّفًا مِنِّي؛ لَظَهَرَ عَلَى تَطَاوُلِ الزَّمَانِ خِلَافُهُ، وَذَلِكَ دَلِيلُ صِدْقِي فِي دَعْوَى رِسَالَتِي<sup>(5)</sup>.

### دلالة التعبير بالتكلف في «الْمُتَكَلِّفِينَ»:

التَّكْلُفُ: مُعَالَجَةُ الْكَلْفَةِ، وَهِيَ مَا يَشُقُّ عَلَى الْمَرْءِ عَمَلُهُ وَالتَّزَامُهُ، لِكَوْنِهِ يُحْرِجُهُ، أَوْ يَشُقُّ عَلَيْهِ، وَمَادَّةُ التَّفْعُلِ فِيهِ تَدُلُّ عَلَى مُعَالَجَةِ مَا لَيْسَ بِسَهْلٍ<sup>(6)</sup>، قَالَ الرَّاعِبُ: "وَتَكْلَفُ الشَّيْءُ مَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ بِإِظْهَارِ كَلْفٍ مَعَ مَشَقَّةٍ تَنَالُهُ فِي تَعَاطِيهِ"<sup>(7)</sup>، فَالْمُتَكَلَّفُ هُوَ الَّذِي يَتَطَلَّبُ مَا لَيْسَ لَهُ، أَوْ يَدَّعِي عِلْمَ مَا لَا يَعْلَمُهُ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ التَّعْبِيرُ بِالتَّكْلُفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أَبْلَغَ مِنَ التَّعْبِيرِ مِنَ التَّصْنُعِ الَّذِي هُوَ مَجْرَدُ التَّظَاهَرِ بِالشَّيْءِ، وَهُوَ لَيْسَ فِيهِ<sup>(8)</sup>؛ لِأَنَّ التَّصْنُعَ لَا

عصمة رسول  
الله ﷺ عن أن  
يأتي بما ليس  
هو له أهل

(1) البقاعي، نظم الدرر: 433/16.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 239/7.

(3) اللاوردي، النكت والعيون: 112/5.

(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 1112/12.

(5) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 528/12.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 309 - 308/23.

(7) الراغب، المفردات: (كلف).

(8) ابن منظور، لسان العرب: (كلف).

يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَشَقَّةٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَا نَفَى النَّبِيُّ ﷺ التَّكْلُفَ فِيهِ مِنْ انْتِحَالِ النُّبُوَّةِ أَوْ التَّقُولِ عَلَى اللَّهِ بِالْقُرْآنِ، أَوْ إِظْهَارِ خِلَافٍ مَا يَبْطِنُ، تَلَاظِمُهُ الْمَشَقَّةُ، كَمَا أَنَّ التَّعْبِيرَ بِالتَّكْلُفِ مَنَاسِبٌ لِحَالِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ تَبْلِيغُ الْقُرْآنِ أَوْ الْوَحْيِ أَوْ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؛ لَكُونِهِ مُرْسَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُؤَيَّدًا بِوَحْيِهِ، وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ أَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ تَصْدُرُ عَنْهُ بِكُلْفَةٍ وَمَشَقَّةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ عَلَى مَا عَرَفَهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَلَوْ كَانَ تَكْلُفًا مِنْهُ؛ لَظَهَرَ عَلَى تَطَاوُلِ الزَّمَانِ خِلَافُهُ.

### نَكْتَةُ إِثَارِ التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾:

أَتَى بِالْخَبَرِ بِالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، فَقِيلَ: ﴿مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (وَمَا أَنَا مُتَكَلِّفٌ)؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ نَفْيَ الْجُمْلَةِ الَّتِي خَبَرَهَا ﴿مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾، فَإِنَّ التَّعْرِيفَ فِي ﴿الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ، فَإِخْبَارُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ يَفِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الْفِتَّةِ أَصْلًا، وَلَا مِنْ أَهْلِهَا الَّتِي تُعْرَفُ عِنْدَ النَّاسِ بِفِتَّةِ الْمُتَكَلِّفِينَ، وَالَّتِي دِيدْنُهَا التَّكْلُفُ، وَهَذِهِ الصِّيغَةُ (مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) مِنْ قَبِيلِ الْكِنَايَةِ الَّتِي هِيَ إِثْبَاتُ الشَّيْءِ بِإِثْبَاتِ مَلْزُومِهِ، فَهِيَ أَبْلَغُ مِنَ التَّنْصِيحِ؛ لِأَنَّهَا تَشْهَدُ بِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْدُودٍ فِي زِمْرَةِ الْمُتَكَلِّفِينَ.

### فَائِدَةُ الْجُمْلَةِ: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾:

أَفَادَتِ الْجُمْلَةُ الْخَبَرِيَّةُ: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الدِّينِ لَا تَكْلُفَ فِيهِ، أَي: لَا مَشَقَّةَ فِي تَكْلِيفِهِ، وَهُوَ مَعْنَى سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَةِ صَحَّتِهِ إِلَى التَّكْلِيفَاتِ الْكَثِيرَةِ، بَلْ هُوَ دِينٌ يَشْهَدُ صَرِيحُ الْعَقْلِ بِصَحَّتِهِ<sup>(1)</sup>، وَهَذَا اسْتِرْوَا حُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَ طَبْعِ الرَّسُولِ ﷺ وَبَيْنَ رُوحِ شَرِيعَتِهِ تَنَاسُبًا؛

نَفْيُ كُونِهِ مِنْ  
زِمْرَةِ الْمُتَكَلِّفِينَ  
أَبْلَغُ فِي نَفْيِ  
التَّكْلُفِ عَنْهُ

دِينٌ يَدُلُّ  
التَّكْلُفَ، وَلَا  
يَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَةِ  
صَحَّتِهِ إِلَى  
التَّكْلُفِ

(1) ابن عادل، اللباب: 463 / 16.

ليكون إقباله على تنفيذ شرعه بشرائه؛ لأن ذلك أنفى للحرص عنه في القيام بتنفيذ ما أمر به<sup>(1)</sup>.

كما أن في الأمر الرّباني للنبي ﷺ بالإعلان بأنه ليس من المتكلفين تلقيناً تأديبياً رفيحاً للمسلمين بالألا يتصفوا بما ليس لهم علم، وبالألا يكونوا فضوليّين فيما ليس فيه مصلحة وفائدة<sup>(2)</sup>، وقد ورد في ذمّ التّكلف ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (يا أيّها النّاس: من علّم شيئاً؛ فليقلّ به، ومن لم يعلم؛ فليقل: الله أعلم، فإنّ من العلم أن يقول الرّجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإنّ الله ﷻ قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾<sup>(3)</sup>).

### علّة فصل الآية عمّا قبلها:

فصل البيان القرآنيّ جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ عن التي قبلها، ولم يأت بالعاطف؛ لما بين الجملتين من كمال اتصال، أي: اتحاد تامّ في المعنى؛ لأن هذه الآية بدل اشتمال من جملة: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ اشتمال نفى الشيء على ثبوت ضده، فلمّا نفى بقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أن يكون تقوّل القرآن على الله؛ ثبت من ذلك أن القرآن ذكر للعالمين ذكرهم الله به، أي: ليس هو بالأساطير أو التّرهات، ولك أن تجعلها تذييلاً؛ إذ لا منافاة بينهما هنا، وعموم العالمين) يكسب الجملة معنى التّذييل للجملتين قبلها<sup>(4)</sup>.

### بلاغة القصير في جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾:

﴿إِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ حرف نفى، وهو أقوى نفياً من (ما)، و(إلا) استثناء، والأسلوب هو قصر بالنفي والاستثناء، وهو قصر قلب إضافي قلب به حكم السامع، أي: هو ذكر، لا أساطير،

نفى التقوّل على  
القرآن مشتمل  
على ثبوت  
ربانيته

قصر أثبت أن  
القرآن ذكر لا  
أساطير، ولا  
سحر، ولا شعر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 309/23.

(2) دروزة، التفسير الحديث: 2/359.

(3) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾، رقم: (4531).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 309/23.

ولا سِحْرَ، ولا شِعْرَ، ولا غَيْرَ ذَلِكَ؛ لِلرَّدِّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا وَسَمُوا بِهِ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِ صِفَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ<sup>(1)</sup>، وَهِيَ بِذَلِكَ أَثْبَتَتْ - مِنْ كَوْنِ الْقُرْآنِ ذِكْرًا - مَا أَثْبَتَتْهُ أَوَّلُ آيَةٍ فِي السُّورَةِ ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝﴾ [ص: 1] عَلَى أَتَمِّ وَجْهِ، مَعَ زِيَادَةِ الْوَعِيدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾<sup>(2)</sup>.

### مرجع ضمير الغيبة (هُوَ):

الضَّمِيرُ (هُوَ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ مَبْتَدَأٌ وَ﴿ذِكْرٌ﴾ خَبَرُهُ<sup>(3)</sup>، وَيَرْجِعُ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَي: مَا الْقُرْآنُ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ<sup>(4)</sup>؛ لِأَنَّهُ أَنْسَبُ لظَاهِرِ الْكَلَامِ، وَلِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَى الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ مَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ بِتَبْلِيغِهِ، وَلَمْ يَطْلُبْ عَلَى ذَلِكَ أَجْرًا دُنْيَوِيًّا، وَلَكُونَهُ مَعْلُومًا مِنَ الْمَقَامِ، فَإِنَّ مَبْدَأَ السُّورَةِ قَوْلُهُ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝﴾ [ص: 1]، وَيُنَاسِبُ فَاتِحَةَ سُورَةِ الزُّمَرِ الَّتِي ابْتَدَأَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

وَقَدْ أَتَى بِالضَّمِيرِ (هُوَ) دُونَ الْأَسْمِ الصَّرِيحِ (الْقُرْآنِ)، فَلَمْ يَقُلْ: (إِنَّ الْقُرْآنُ إِلَّا ذِكْرٌ)؛ تَفْخِيمًا لَشَأْنِهِ، لَكُونِ الضَّمَائِرِ أَقْوَى الْمَعَارِفِ<sup>(5)</sup>، وَلَكُونِ (هُوَ) ضَمِيرَ الشَّأْنِ الَّذِي يَفِيدُ الْاهْتِمَامَ بِالْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهُ، وَإِذَا سَمِعَهُ الْمُخَاطَبُ: تَطَلَّعَ إِلَى مَا بَعْدَهُ.

### دلالة التعبير بـ﴿ذِكْرٌ﴾، ولطيفة تنكيهه:

التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ ﴿ذِكْرٌ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾؛ لَكُونِهِ أَوْسَعَ دَلَالَةً مِنْ غَيْرِهِ، كَالْتَذَكُّرَةِ وَهِيَ الْمَوْعِظَةُ، فَالذِّكْرُ هُنَا يَشْمَلُ الْمَوْعِظَةَ<sup>(6)</sup>، وَالشَّرْفَ لَهُمْ<sup>(7)</sup>، وَهُوَ مَكَانُهُ الْعَقُولِ، وَمَا يَقَعُ فِيهَا

تفخيمٌ وتعظيمٌ  
لشأن القرآن  
واهتمامٌ بكونه  
ذكرًا للعالمين

القرآن عظةٌ  
وشرفٌ وتفكّرٌ  
وتذكيرٌ بالعهد  
الأوّل في عالم  
الذّر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 310 / 23.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 435 / 16.

(3) دعاس، إعراب القرآن: 130 / 3.

(4) ابن جرير، جامع البيان: 243 / 21، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 83 / 7.

(5) ابن الحاجب، الكافية في علم النحو، ص: 37.

(6) البغوي، معالم التنزيل: 103 / 7.

(7) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 461 / 16، والبقاعي، نظم الدرر: 434 / 16.

من تفكّر واقتناع بما تذكّر به<sup>(1)</sup>، وهو ضدّ النسيان، يوقظُ النَّاسَ من غفلتهم، ويجعلهم يتعمّقون في التّفكير، ويذكّرهم بما نسوه من العهد الأوّل عهدِ الفطرة الذي أخذه الله عليهم، وهم في طورِ الذّرّ، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]، فأقرّ الجميع: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172]<sup>(2)</sup>، ولكونه أنسبَ لسياقِ الدّعوة والتّبليغ والشّرف ورفعَةِ القرآن، بخلاف لفظ (ذكرى)؛ فإنّها تُستعملُ في سياقِ النسيان والتّذكير العادي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 90]، وأنسبَ لفاتحةِ السّورة في قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [١]، ولكثرة ما وردَ فيها من التّذكير، كقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: 17]، و﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ [ص: 43]، و﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ [ص: 49]، ممّا يدلُّ على أنّ القرآن كأنّه عقدٌ واحدٌ نُظِمَتْ آيَاتُه وسورُه على أكمل وجهٍ في الاتّصال المحكم الوثيق، فيدلُّ على عظمة الخالق وقدرته وعلمه، وأنّه المعجزةُ الخالدةُ إلى يومِ القيامة.

وقد جاء لفظُ ﴿ذِكْرٌ﴾ نكرةً لإفادةِ التّفخيم والتّعظيم، فهو ذِكْرٌ جليلُ الشّأنِ من الله تعالى<sup>(3)</sup>.

### معنى (اللام) في القيد: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾:

اللامُ في قوله: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ حرفُ جرٍّ، وهي لامُ الاختصاص، لقصدِ تشريفِ الثّقيلين من الإنس والجنّ بهذا الاختصاص؛ امتناناً من الله عليهم، وإقامةً للحجّة.

### معنى (ال) في ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾:

(ال) التّعريفُ في لفظِ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ جنسيّةٌ استغراقيّةٌ دخلت على جمعٍ، فأدّت إلى شمولِ عمومِ العالمين، أي: القرآن عظةٌ وشرفٌ

القرآنُ ذِكْرٌ لكلِّ  
العالمين من  
الإنس والجنّ

(1) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: 4 / 101، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 12 / 1112.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 21 / 13008.

(3) الألوسي، روح المعاني: 12 / 220.

لكلِّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ<sup>(1)</sup> إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، يَتَذَكَّرُونَ بِهِ كُلٌّ مَا يَنْفَعُهُمْ، مِنْ مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَيَكُونُ شَرْفًا وَرَفْعَةً لِلْعَامِلِينَ بِهِ، وَإِقَامَةً حُجَّةٍ عَلَى الْمَعَانِدِينَ<sup>(2)</sup>، يَفْهَمُ كُلُّ فَرْدٍ مِنَ الثَّقَلَيْنِ مَا تَحْتَمِلُهُ قَوَاهُ ذِكْيًا كَانَ أَوْ غَيْبًا، عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَلْوِ الَّذِي لَا يَدَانِيهِ فِيهِ كَلَامٌ، بِخِلَافِ الشُّعْرِ وَالْكَهَانَةِ الَّتِي مُحِطُهَا السَّجْعُ وَالْكَذِبُ فِي الْإِخْتِبَارِ بِبَعْضِ الْمَغِيَّبَاتِ، فَإِنَّهُمَا مَعَ سُفُولِ رَتَبَتِهِمَا لَا يَفْهَمُهُمَا مِنَ الْعَالَمِينَ إِلَّا ذَاكَ وَذَاكَ<sup>(3)</sup>.

### دلالة التعبير بـ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ وسرُّ إثارة على (الناس):

آثَرَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ لَفْظَ الْعَالَمِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ دُونَ لَفْظِ النَّاسِ، لَكُونَ (الْعَالَمِينَ) أَعَمُّ، فَهُوَ يَشْمَلُ الثَّقَلَيْنِ؛ إِذْ هُمَا الْمَكْلَفَانِ بِالْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَلَوْ عَبَّرَ بِلَفْظِ النَّاسِ؛ لَاقْتَصَرَ عَلَى الْإِنْسِ دُونَ الْجِنِّ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُرِدِ الْمَلَائِكَةَ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْعَالَمِينَ يَشْمَلُهُمْ لِأَجْلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾، وَالذِّكْرُ مَعْنَاهُ الْمَوْعِظَةُ وَالتَّخْوِيفُ، وَهُوَ لَا يُنَاسِبُ إِلَّا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ<sup>(4)</sup>، كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَيْسُوا بِمَأْمُورِينَ بِالْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ، وَمَا عِدَاهُمْ مِنَ الْعَجَمَاوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ لَيْسُوا بِمَكْلَفِينَ<sup>(5)</sup>، وَلَئِنْ فِي لَفْظِ (الْعَالَمِينَ) مَعْنَى الْوَصْفِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعِلْمِ، وَتَغْلِيْبُ الْعُقُلَاءِ عَلَى غَيْرِهِمْ<sup>(6)</sup>؛ تَأْكِيدًا عَلَى قِيَامِ هَذَا الذِّكْرِ عَلَى الْعِلْمِ وَعَدَمِ مَنَاقَضَتِهِ لَهُ، وَتَعْرِضًا بِالْكَافِرِينَ الَّذِينَ عَطَّلُوا عُقُولَهُمْ.

### بلادة التَّذْيِيلِ بِجُمْلَةٍ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾:

بَعْدَ تَسْجِيلِ التَّبْلِيغِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ لَا يَسْأَلُ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَجْرًا فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ

ذِكْرٌ يَشْمَلُ  
الثَّقَلَيْنِ وَلَا تَنْفَكُ  
عَنْهُ صِفَةُ الْعِلْمِ

مَا أَرَادَ النَّبِيُّ  
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمُ  
بِتَبْلِيغِهِمْ إِلَّا  
رَفَعَتْهُمْ فِي  
الْعَالَمِينَ

(1) أَبُو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 239 / 7.

(2) السَّعْدِي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 717.

(3) الْبِقَاعِي، نظم الدرر: 434 / 16.

(4) الصَّوَّاي، حاشية على تفسير الجلالين، ص: 1630.

(5) الْقَوْنُو وَابْنُ التَّمْجِيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 461 / 16.

(6) الْبِقَاعِي، أنوار التنزيل: 28 / 1.

**عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**، وما هو دَعْيٍ كَذَابٌ - حاشاه - يتكلف القول بالقرآن، ويدّعيه في قوله: **﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾**، بل هو رسول حقًّا؛ ختم البيان الحكيم الكلام السابق ببيان أن القرآن ذكر للناس ذكرهم الله به، أي: ليس هو بالأساطير أو الترهات، أي: لما نفى أن يكون ﷺ قد تقول القرآن على الله؛ ثبت من ذلك أن القرآن ذكر للناس ذكرهم الله به<sup>(1)</sup>، وأن فائدة ما أبلغهم رسول الله ﷺ لهم لا له، وذلك في قوله: **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾**<sup>(2)</sup>، وفي هذا تنبيه للمشركين وحث لهم أن يعملوا عقولهم، ولا يحجبهم الكبر عن التفكر في شأن القرآن والنبي ﷺ، فهو ما أراد بتبليغهم إلا رفعتهم.

**معنى (الواو) في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾:**

في التأكيد على  
ظهور شرف  
القرآن وعلوه في  
العالمين تبشير  
وتهديد

الواو في قوله تعالى: **﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾** عاطفة<sup>(3)</sup>، والمعطوف عليه جملة: **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾**، باعتبار كون الجملتين تتحدثان عن القرآن الكريم، إحداهما بأسلوب القصص، والأخرى بأسلوب التوكيد، والمعنى: القرآن ذكر لا أساطير ولا سحر ولا شعر ولا غير ذلك، وستعلمون خبره بعد زمان علمًا جزمًا<sup>(4)</sup>، وفي هذا الجمع بين الأسلوبين المؤكدين على ظهور شرف القرآن وعلوه في العالمين تبشير للمؤمنين وتهديد ووعيد للكافرين.

**معنى (اللام) في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾:**

تأكيد تحقق  
العلم اليقيني  
بحقيقة القرآن  
تهديد للكافرين  
وتبشير  
للمؤمنين

اللام في **﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾** موطنة للقسم<sup>(5)</sup>، وقوله: **﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾** جواب قسم مقدّر معناه: (والله لتعرفن أنتم يا كفار مكة خبر صدقه بعد حين)<sup>(6)</sup>، وغرض لام القسم تأكيد الجواب، أي: تأكيد تحقق العلم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 309 / 23.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 310 / 23.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 386 / 8.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 310 / 23.

(5) السيوطي والحلي، تفسير الجلالين، ص: 605، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 386 / 8.

(6) ابن عادل، اللباب: 463 / 16.

اليقينِّي لدى كَفَّارِ قريش بحَقِّيَّةِ القرآن، وما تَضَمَّنَ من وعدٍ ووَعِيدٍ  
وصدقِ النَّبِيِّ ﷺ بعد حينٍ من الزَّمن، وفي هذا تخويفٌ وتهديدٌ  
للكافرين، وتبشيرٌ وتطمينٌ للمؤمنين<sup>(1)</sup>.

### دلالة التَّعْبِيرِ بِالْعِلْمِ فِي الْفِعْلِ (تَعْلَمَنَّ):

عَبَّرَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ بلفظِ الْعِلْمِ في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ﴾  
دون لفظِ المعرفة، فلم يقل: (لتعرفنَّ)؛ لكون العلمِ أعلى درجةً مِنَ  
المعرفة، واستعماله أنسبُ للسياق؛ لأنَّ عِلْمَهُمْ سيكون في المستقبل  
عند الموت أو يوم القيامة، وهو علمٌ يقيني لا إنكارَ فيه، وأصلُ العلمِ  
إدراكُ الشَّيءِ على حقيقته، وهو معرفةُ الشَّيءِ على ما هو عليه<sup>(2)</sup>،  
وَعِلْمُ الشَّيءِ حاصلاً: أيقنَ به، وصدَّقه<sup>(3)</sup>، والمعرفةُ تُستعملُ في العلمِ  
القاصر المتوصل إليه بتفكيرٍ وتدبُّرٍ<sup>(4)</sup>، والمعرفةُ ضدها الإنكار، والعلمُ  
لا يضادُّه الإنكار، بل يضادُّه الجهل<sup>(5)</sup>، وفي الإخبارِ المؤكِّدِ بالقسمِ  
بيقينيةُ العلمِ بحَقِّيَّةِ القرآنِ والنَّبِيِّ والإسلامِ بعد حينٍ يستدعي  
تخويفَ الكافرين ودفعهم للتَّفَكُّرِ في شأنِ هذا النَّبَاِ وصدقه.

ولكونه كذلك أنسبُ لحالِ القائل؛ إذ هو إخبارٌ وحي لا شكَّ فيه،  
والمعنى: (وستَعْلَمُونَ بانتصارِ الإسلامِ وظهوره، أو اليقين بصدقِ  
القرآن، أو نبوةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ زَمَانٍ عِلْمًا يَقِينًا جَزْمًا، فَيَزُولُ  
شَكُّكُمْ فيه)<sup>(6)</sup>.

### دلالة المضارعة في الفعل (تَعْلَمَنَّ):

عَبَّرَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ بصيغةِ المضارعة في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ  
نَبَأَهُ﴾، للإشارةِ إلى أَنَّ الْعِلْمَ الْجَازِمَ الذي يدركون به حقيقةَ

إخبارٌ يستدعي  
التَّفَكُّرَ في شأنِ  
القرآن

عِلْمُ الْكَافِرِينَ  
بِحَقِّيَّةِ الْإِسْلَامِ  
عِلْمٌ مُسْتَمِرٌّ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

(1) القنوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 462 / 16.

(2) السمين، عمدة الحفاظ: (علم).

(3) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (علم).

(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 502.

(5) الراغب، المفردات: (عرف).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 310 / 23.

القرآن وصدق النبي ﷺ، وكل ما أنكروه في الدنيا - سواءً بعد الموت والبعث يوم يكشف لهم الغطاء عما حجبهُ العناد والضلال عنهم، أو في الدنيا بانتصار المسلمين عليهم وارتفاع شأن الإسلام - هو علمٌ مستمرٌّ لا ينقطع<sup>(1)</sup>، وهذا يشهد له الواقع في استمرار انتشار الإسلام رغم كثرة المحاربين له، كما أنَّ في المضارعة تصويرًا لهذا الحدث بما يستدعي تخويفهم عند إدراك الحقيقة، من مشاهد الخيبة التي يجدونها فيه يوم لا ينفعهم الندم.

### معنى (النون) للتصلة بالفعل ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ﴾:

تدلُّ نونُ التوكيد الثقيلة الملازمة للقسم في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ﴾ على تأكيد وعيده وتهديده للكافرين بإثبات حقيقة القرآن وصدق النبي ﷺ؛ إذ إنها بمنزلة القسم، وبمنزلة تكرار الفعل، وهي تفيّد كذلك مع التوكيد الشمول والعموم عندما يكون الكلام لغير الواحد، وأنَّ هذا العلم اليقيني الجازم يكون من الكافرين كلهم، وتأكيد الفعل هنا واجب؛ لأنه مضارع، جاء في جواب القسم، وجاء مثبتًا غير منفيٍّ، ومستقبلًا لزمان آتٍ، وغير مفصولٍ عن لاهمه بفواصل<sup>(2)</sup>، وفي التوكيد مبالغة في تخويف الكافرين وتهديدهم؛ دفعًا لهم للتفكير بشأن القرآن العظيم والنبي الكريم ﷺ.

### دلالة التعبير بالنبا في ﴿نَبَأُهُ﴾:

اصطفى البيان القرآني التعبير بالنبا في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ﴾؛ إذ كلمة النبا لا تقال إلا للخبر العظيم المهم، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: 67 - 68]<sup>(3)</sup>؛ للدلالة على أنَّ خبر القرآن بأنَّه كلامُ الله، أو خبر النبي ﷺ بأنَّه

في التوكيد  
مبالغة في  
تخويف  
الكافرين دفعًا  
لهم للتفكير  
بشأن القرآن  
العظيم

شأن القرآن  
وكل ما تضمنه  
شأن عظيم لا  
يقدر قدره

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 1112 / 12.

(2) ابن مالك، شرح التسهيل: 209 / 3، وابن هشام، مغني اللبيب، ص: 444.

(3) الراغب، المفردات: (نبا)، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 13009 / 21.

رسولُ الله، أو خبرُ الوعيد الذي توعدَ اللهُ المشركين به بأنَّه صدقُ هو خبرٌ ذو قدرٍ وشأنٍ عظيمٍ، ولكون هذه الكلمة التي لا تُقال إلا في الأمر العظيم تتناسبُ مع الإيقاع المدوّي العميق، الموحى بضخامة ما سيكون من العلم اليقينيِّ بحقيّة النّبأ العظيم عند الموت أو يوم القيامة أو عند انتصار الإسلام، وذلك في سياقٍ توالّت، وتتابعَت فيه المؤكّدات.

### مرجعُ الضمير في ﴿نَبَأُهُ﴾:

يعودُ الضميرُ المتصلُّ، وهو هاء ﴿نَبَأُهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ﴾ إمّا إلى القرآن الكريم، والمعنى: (ولتعلمنَّ نبأ القرآن أنّه حقٌّ)، أو إلى النبي ﷺ، والمعنى: (ولتعلمنَّ نبأ محمّد ﷺ أنّه رسولٌ)، أو إلى الوعيد، والمعنى: (ولتعلمنَّ نبأ الوعيد أنّه صدقٌ)<sup>(1)</sup>، وفي التعبير بالضمير وعدم التصريح بما يعودُ إليه إشارة إلى تعدّد المعاني التي تتضمّنُها الآية ممّا يجعلُ لها ثراءً، ولو ذكر أحدها؛ لاقتصرَ عليه.

### دلالة التّقييد بالبعديّة في قوله: ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾:

يشيرُ النّظمُ الحكيمُ في التعبير بالبعديّة ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ إلى الإيحاءِ بترخي المدّة والإمهال؛ ليُبلّغ في الإعذار إليهم، فتتقطّع حُجّجهم، وتنتهى ذُنوبهم التي يستحقّون الأخذ بها<sup>(2)</sup>، وفيه إشارة إلى أنّ آيات النبي ﷺ تأتي مُتتابعَةً، منها ما علِمَ في عهده، ومنها ما علِمَ بعد ذلك، ومنها ما لا يُعلَمُ إلا يومَ القيامة<sup>(3)</sup>.

### دلالة التّعبير بـ ﴿حِينٍ﴾، ولطيفة تنكيره:

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿حِينٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ

في تعدّد مرجع الضمير ثراءً في المعنى

تراخي المدّة والإمهال إبلاغ في الإعذار بما يقطعُ الحجة، ويُبطلُ الأعذار

إبهام الوقت أبْلَغُ في التّخويف وأحثُّ على المبادرة إلى الامتثال

(1) للآوردي، النكت والعيون: 5 / 112.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 435.

(3) ابن عثيمين، تفسير سورة ص: 258.

**نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ**؛ لكونه أوسع دلالة؛ لأنَّ الحينَ: هو الزَّمان، قليلاً كان أو كثيراً<sup>(1)</sup>، وهو اسمٌ كالوقتِ يصلحُ لجميعِ الأزمانِ كُلِّها، طالتْ أمْ قصرتْ<sup>(2)</sup>، وهو في الآيةِ زمنٌ لم يُنصَّ لَهُمْ على أَمَدِهِ<sup>(3)</sup>، وذلك إمَّا عند نزولِ العذابِ عليهم، أو حُلُولِ الموتِ بهم، أو نحو ذلك<sup>(4)</sup>، ولذلك اختلفَ في معناه أقوالُ المفسِّرين، وكلُّها يتضمَّنُها اللفظُ، فقيل: لتعلمنَّ نبأَهُ بعد الموتِ، قال الحسن: (يا بن آدمَ عند الموتِ يأتيك الخبرُ اليقينُ)، وقيل: يوم القيامة، عندها سيعلمون صدقَ هذا الكلامِ الَّذي أخبرهم اللهُ به في قرآنِهِ، وقيل: يوم بدر<sup>(5)</sup>، وعيدُ لهم بالقتلِ بيدر، مثل قوله: **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾** [الصافات: 174]، يعني: القتلَ بيدر<sup>(6)</sup>، ويرى الشعراوي أنَّ: الحينَ يُراد به ظهورُ الإسلامِ وفشوهُ وانتصاره على الكفر، بدايةً من معركة بدر إلى أن قال القائل: عَجِبْتُ لهذا الأُمِّيِّ، كيف يفتُحُ نصفَ الدُّنيا في نصفِ قرنٍ؟ نعم هذه عجيبةٌ، ولا تزالُ حتَّى الآنَ<sup>(7)</sup>، ويرجِّحُ الطُّبريُّ أنَّ اللهَ أعلَمَ المشركينَ المكذِّبينَ بهذا القرآنِ أنَّهم يعلمون نبأَهُ بعد حِينٍ، من غيرِ حدٍّ منه لذلك الحينِ، وقد علِمَ نبأَهُ الَّذين عاشوا إلى ظهورِ حقيقتهِ، ووضوحِ صَحَّتِهِ في الدُّنيا، ومنهم من علِمَ حقيقةَ ذلك بهلاكِهِ بيدر، وقبل ذلك، ولا حدَّ عند العربِ للحينِ، لا يُجاوِزُ، ولا يقصرُ عنه، فإذا كان ذلك كذلك؛ فلا قولَ فيه أصحُّ من أن يُطلَقَ، كما أطلقه اللهُ من غيرِ حصرٍ ذلك على وقتٍ دون وقتٍ<sup>(8)</sup>.

كما أنَّ في التَّعبيرِ بلفظ **﴿حِينٍ﴾** إشارةٌ إلى أنَّ وقتَ وقوعِ ذلك النَّبأ هو وقتٌ مبهمٌ<sup>(9)</sup>، وإبهامُ الوقتِ هنا أبلغُ في التَّخويفِ والتَّهديدِ لما فيه من حثِّ المخاطَب للمبادرةِ إلى الامتثالِ لرَبِّهِ، والإقلاعِ عن عصيانه.

وفي تنكيرِ لفظ **﴿حِينٍ﴾** زيادةٌ في إبهامِ هذا اللفظِ، ومن ثَمَّ زيادةٌ في التَّخويفِ من

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حين).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (حان).

(3) ابن الجوزي، نزهة الأعين التواظر، ص: 256.

(4) البياضوي، أنوار التنزيل: 35/5، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 717.

(5) اللاوردي، النكت والعيون: 112/5.

(6) تفسير مقاتل بن سليمان: 3/654.

(7) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 21/13008.

(8) ابن جرير، جامع البيان: 21/244.

(9) البقاعي، نظم الدرر: 16/435.

هذا الوقت، بما يكون أدعى للمشركون لأن يتفكروا بشأن النبي ﷺ  
وبصدق دعوته.

### بلاغة التعريض بالتهديد في الآية:

في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ تعريض بما لا مزيد  
عليه في التخويف والترهيب والتهديد لمن أصرَّ على الجهل والتقليد،  
وأبى قبول البيِّنات، وأنه سيعلم بعد حين إن كان مُصِيبًا في هذا  
الإعراض، أو مُخطئًا<sup>(1)</sup>.

تعريض بما  
لا مزيد عليه  
في التخويف  
والترهيب  
والتهديد

### بلاغة حسن الختام في الآية:

تظهر بلاغة حسن ختام سورة (ص) في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ  
نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ في أن هذه الآية قد أثبتت من كون القرآن ذكرًا  
ظهر صدقه ما أثبتته أول آية فيها، وهي ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ  
﴿١﴾﴾ [ص: 1] على أتم وجه مع زيادة الوعيد، فانعطف الآخر على  
الأول، واتصل به أحسن اتصال وأجمل، ونظر إلى أول الزمر في  
قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ أعظم نظر وأكمله،  
فله در هذا الانتظام، فهو لعمري أضوأ من شمس الضحى، وأتم  
من بدر التمام، فسبحان من أنزلهُ، وأجمله، وفصله، وفضله،  
وشرفه، وكرمه<sup>(2)</sup>.

حسن اتصال  
الآيات وانتظامها

### توالي المؤكّدات في الآية:

في توالي المؤكّدات في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾  
دعوة أخيرة للنّجاة، ألبست لبوس التهديد المؤكّد للمعاندين المشرك  
المصرّ على كفره وعصيانهِ، وقد تمثّلت هذه المؤكّدات بلام القسم  
في أول الفعل المضارع، والنّون المشدّدة التي في آخره، وما يفيدُه هذا

دعوة أخيرة  
للنّجاة ألبست  
لبوس التهديد  
المؤكّد للمعاندين  
المشرك

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 109، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26/ 417، والبيضاوي، أنوار التنزيل:

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 435.

التَّرْكِيْبُ مِنْ مَعْنَى الْقَسَمِ، وَالتَّعْبِيرِ بِالْعِلْمِ الَّذِي يَفِيدُ الْيَقِيْنَ، وَاصْطِفَاءِ التَّعْبِيرِ بِالنَّبَأِ الَّذِي يَفِيدُ أَنَّ الْخَبَرَ ذُو قَدَرٍ وَشَأْنٍ عَظِيْمٍ، وَحَصُولِ الْعِلْمِ الْعَارِي عَنِ الْكُذْبِ؛ تَنْبِيْهًا عَلَى تَحْقِيْقِهِ وَكَوْنِهِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ<sup>(1)</sup>، فَكُلُّ هَذِهِ الْمَوْكِّدَاتِ تَلْهَبُ النَّفْسَ خَوْفًا وَهَلَعًا.

(1) الرّاغِب، المفردات: (نبأ).



عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،  
سورة الصّافات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة  
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م  
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي  
الطبعة الأولى: 2026م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:  
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04  
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 49، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-641-51-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،

الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري  
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»